مع الخزاف « مايودون »

للدكتور محمد بهجت

أحسنت الحكومة صنعاً باستقدام بعض الفنانين البارزين من فرنسا لمحاضرة طلاب الفنون الجميلة العليا والتحدث إلى أساتذتهم ومبادلتهم الرأى فى نواحى الفنون المختلفة ، كما أحسنت كل الإحسان بإقامة معرض كبير حوى الكثير من صفوة أعمالهم بالسراى الكبرى بأرض الجمعية الزراعية ، بلغ من أهميته أن حظى بزيارة ملكية .

ومع أن الإقبال عليه كان كبيراً لحد ما ، إلا أن الكثرة من الطبقة المثقفة لم تستمتع به أو تفد منه شيئاً ، وذلك لأن القائمين بأمره لم يعلنوا عنه الإعلان الكافى بالصحافة العربية أو بواسطة الإذاعة . ومن الناحية الأخرى أهملته تلك الصحافة إهمالاً مميتاً كأن لم يقم معرض خطير للفن الحديث فى القاهرة أنفقت عليه الحكومة بسخاء وأولته الصحف الأجنبية بعض العناية . وكأن لا أثر لمثل هذا المعرض القيم فى تثقيف عقول الناس وإشباع نفوسهم بجمال الفن !

كانت معروضات الفنانين السبعة رائعة تسترعى الأنظار بطرافتها وروعتها وقوتها ، ولا يسعنا إلا إحناء رؤوسنا إعجاباً بأعمالهم واحتراماً لنبوغهم جميعاً .

غير أن واحداً منهم كان مبرزاً فى الحلبة يسطع فنه بأقوى مما يقع على جانبيه من أضواء ساحرة ، كان يستوقف جمهرة الزائرين لأطول وقت ، ويشدههم بجمال فنه وينتزع منهم أضخم عبارات الإعجاب والإطراء — أستغفر الله — بل إنهم كانوا يخلعونها عليه جزافاً سماحاً . ذلكم هو جان مايودون الخزاف العالمى الفذ الذى مكنته إدارته الفنية لمصانع سفر الشهيرة لمدة ثلاثين عاماً أو أكثر من أن يقف على أدق أسرار هذه الصناعة قديمها وحديثها ، وأن يخلق لنفسه طريقة فنية رائعة .

يجد المشاهد نفسه أمام فن جديد ذى طابع خاص ، أهم مظاهره جمال عظيم فى أشكال الزهريات والقوارير والصحون التى صممت بعناية فائقة وذوق سليم حتى ليكفى أن تؤثر فى النفوس بجمالها الذاتى خالية من النقوش والألوان ، ثم جمال ألوانها وانسجامها انسجاماً شعرياً عذباً ، مع الذهب خالصاً فى بعض الحالات أو مختلطاً قليلا أو كثيراً بتلك الألوان . أما الرسوم التى عليها ، فإما هى حيوانات زخرفية أشبه بغزلان راكضة ، وإما هى أنامى من نسيج الخيال أو من عالم الأساطير ، غير أنه لا توجد أسطورة ما تمثلها ، أنها لا تعنى شيئاً ما بل هى مجرد أخيلة يستعين بها الفنان على إيجاد حركات جميلة أو مجموعة متناسقة من الألوان . وهو فى هذه الرسوم متأثر بالفن الإغريقى لحد كبير ؛ وفى بعضها يلمس المشاهد أثر ميكائيل أنجلو .

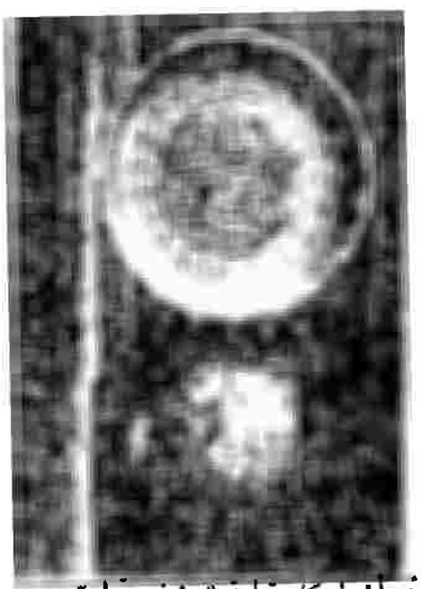

ثم أن لكل قطعة « شخصيتها » وسحرها الخاص حتى ليصعب على المرء أن يختار لنفسه واحدة منها ، ويود لو يراها مجتمعة كمجموعة من الدرر الغوالى ، ويكره أن ينفرط عقدها ، كما أن كل واحدة منها تمثل فن (مايودون) وتظهر خصائصه بكل وضوح ، مطبوعة بطابع ذوقه الرفيع .

وبينما كنت أستمتع مرة بمشاهد معروضاته إذ قدمنى إليه صديقى الأستاذ الصور أحمد صبرى ، فراعتنى أناقته المحببة ، وقامته المديدة ، وأكتافه العريضة ، رأسه الكبير المكلل بشعر أشيب

رتيب ، وعيناه اللامعتان الفاحصتان . وما كدنا نشقق الحديث حتى بدت لى منه روح مرحة وحماسة فياضة ونفس إنسانية عظيمة مخلصة ، شغفت بالحب والجمال ، ثم تواضع عجيب هو من خلق العباقرة القادرين . سألته أن يحدثنى عن فنه فقال :

أستعمل فى مجائنى الطين النقى والسليس والطباشير والزجاج. والأخيران يجملان لأوعيتى صلابة ورنيناً . وأستعمل من الألوان أكاسيد معادن الحديد والنحاس والكروم والمنجنيز والفضة والرصاص . ثم إنى أستعمل الذهب مخلوطاً مع أكسيدى الزئبق والبزموت . والحق يقال أننى متأثر إلى حد كبير بتلك المواد التى كان الفرس والعرب يستعملونها فى أعمالهم .

إننى أجهز تلك المواد بنفسى ، لا مساعد لى فى ذلك . أحضر المجائن وأسوى منها الأوعية على أشكال شتى ثم أتركها على الأرفف لتجف ، وبعد ذلك أحرقها على درجة عالية من الحرارة (١٠٥٠ مئوية) فتكتسب صلابة كافية وتصير صالحة للعمل عليها فى الخطوات التالية .. وفى كل صباح يصحبنى كلبى العزيز ونجول معاً هنيهة فى حديقتى الجميلة ، تذهب بعدها إلى المصنع الواقع وراء تلك الحديقة ، فألقى نظرة خاطفة على الأوعية فيروقنى أحدها فأنتزعه من مكانه وأرسم عليه بالقلم الرصاص رسماً ما من غير سابق تحضير أو دراسة ، فأجعله حيواناً أو إنساناً أو شبيهاً بهما ، حسبما يتفق مع طبيعة الوعاء وقد أزيد عليه أو أنقص منه؛ فإذا ما راقنى الرسم وضعت لون الخلفية (١) ، ثم أدخلته النار وحرقته على درجة الحرارة العالية المذكورة لمدة معينة ، ثم أخرجه بعدها حتى يبرد ، ثم أضع عليه ألوان الرسوم التى أختيرها بعناية وأدخله النار مرة أخرى . وبعد ذلك أضع الذهب . وقد يدعونى الحال إلى إحراق الوعاء مرتين أو ثلاثا بل وست مرات حتى يكون بعدها كاملا . وأحياناً لا يعجبنى رسم أو لون ما فأغيره وأعيده إلى النار . وهنا سألته عما يعنى برسومه — وقد حيرنى أمرها — أهى موضوعات من القصص الأغريقى أو غيره ؟ فأجاب بالنفى قائلا : « إنها لمجرد الزخرفة » وإيجاد التآلف والتوازن ليس إلا . فيعطيها من الألوان ما ينسجم وألوان الخلفية ويجعل المجموعة كلها جميلة تطرب العين والفؤاد معاً . ثم إنه وافقنى على ما لاحظته من تأثره بالفن الأغريقى ، وبفن ميكائيل أنجلو الذى كان يعكف على دراسته ، وبالفن الفرنسى الذى كان سائداً فى عصر لويس الرابع عشر ، إلى أن قال : « ولكنى أحاول أن أتحرر منها تدريجياً ، وأختط لنفسى فناً خاصاً » .

وبعد أن حدثنى عما شاهده من الفن المصرى القديم وعن خصائصه وروائعه سألته عما تركه ذلك الفن فى نفسه من أثر . وهنا حدجنى بنظرة عميقة ثم اندفع يقول فى حماسة ممزوجة بمرارة وألم : « كنت أظن أننى أوفيت على الغاية ؛ ولكنى اليوم أشعر بأننى قزم إلى جانب الفنان المصرى القديم الذى يبرز الجمال بقوة ، بسيطاً هادئاً ، لا تكلف فيه ولا إجهاد . أصبحت أرى ضآلة عملى وتفاهته بجانب تلك الأعمال الجليلة الرائعة . إن كل هذا (مشيراً بيده إلى قطعه الجميلة) هراء معقد لا غناء فيه . لسوف أقلع عن كل ذلك . آه ! لقد بدأت أفهم الآن ، والآن فقط بعد أن بلغت الخامسة والخمسين ، ولم يبق من العمر إلا أقله ، ومن الجهد إلا أضأله . لشدما يؤلمنى ذلك ! إن أخوف ما أخافه أن لا يسعفنى الأجل بتحقيق ما تصبو إليه نفسى وما ينفجر به خيالى الآن . عندما أعود إلى باريس سوف أكب على العمل بهمة زائدة وأحاول أن أخرج فناً بسيطاً جميلا حلواً . سأحاول أن أخرج بعض ما تعلمته وشاهدته هنا ؛ وسيكون فى ذلك نقطة

(١) وضعت كلة الخلفية لتؤدى معنى الكلمة الفرنسية Fon أو الكلمة الإنجليزية Background وهى أن يعنى بها المجمع اللغوى .

التحول الهائلة فى حياتى الفنية التى أوشكت على الأفول » .

— وما رأيك فى مستقبل فن الخزف بمصر ؟

— لاينقصكم شىء من عناصر النجاح على ما رأى . فتربتكم غنية بأحسن المواد الأولية اللازمة للعمل ، وشبابكم على جانب وافر من الذكاء واستعداد للتوثب والابتكار . وكل ما ينقصكم هو فرن ذو حرارة عالية ! هذا كل ما فى الأمر . إننا نعرض عليكم بضاعتنا وفننا ، ولكنى أنا فرنسى أفكر برأس فرنسى ، ويجب أن تفكروا أنتم كذلك برؤوس مصرية .

— هل تعود إلى مصر مرة أخرى ؟

— لقد شغفتنى مصر والمصريون حباً . وأكبر ظنى أننى سأعود إليكم فى العام القادم حاملا بعض أعمالى الجديدة التى سأستوحيها من زيارتى لبلادكم الجميلة الغنية بالفن

وهنا أقبل بعض زملائه وأسر إليه شيئاً فاستأذن وانصرف

أما بعد فنرجو من وزارة المعارف أن تستن هذه السنة الحميدة فتستقدم إلينا كل عام بعض أساطين الفن من مختلف الشعوب حتى يتم التلاقح الفنى بيننا وبينهم ؛ شأنها فى ذلك شأن الفرق التمثيلية والجوقات الموسيقية ، كما نرجو أن تدفع فنانينا إلى الأمام بكل وسائل الترغيب والتشجيع حتى تستطيع مصر أن تبنى لمجدها الفنى الحديث على آثار فنها القديم .

محمد بهجت

المدير المساعد لقسم البساتين

وحشة شـــاعر...

للشاعر السودانى أبى القاسم عثمان

أيها الليل يا عدو حيـــاتى ... ومثير الجياش من أناتى

أنا أرهقت يا غشوم تماسا ... كى وأسكرت بالثناء فلاتى

عبثاً تستخف بالنغم الحلو ... وبالعطر فى ظلال حيـــاتى

مصر أوحت فأيقظت فى ضلوعى ... نغماً تستحثه نزواتى

هنئت فيه بالضـــلالة أفرا ... حى وأوتارى التى فى لهـاتى

فتوثبت فى مدارج ألحـــا ... نى وهللت فى مدى صلواتى

وتطلعت للشعاع طموحاً ... ساخراً بالظلام فى خلواتى

قبس الله قـــد أثار فتونى ... وأمات المحزون من آهاتى

فى روابى « سنار » ودعت أيا ... مى وذرّفت أدمعى وشكاتى

كنت أودعتها نوازع نفسى ... ألهبتها قساوة الذكريات

يا رفيقى لقـــد لمست بقلبى ... ما يعانى الغداة من صدمات

رحمتا فالضباب يزحم آفا ... قى ويغتال هدأتى وثباتى

ورماد الأوهام فى ليل إدلا ... جى أدال الستور من نبراتى

قهقهات الأشباح أذكت جنونى ... لا رعى الله فترة القهقهات

أنا من صارع الحيـاة فأفنى ... عمره الغض فى صراع الحياة

لهف نفسى وقد حييت زماناً ... فى ضجيج الأفلاط والنزهات

ما الذى قدر الإله لنفسى ... تعيت فى صياغة الأمنيات

غير أنى يزفنى لجهادى ... عبقرى الأهداف والغايات

سوف أجتاز محنتى لأغنى ... أغنيات الهروب والانفلات

مصر دنيا طلاقتى وكفاحى ... ومنى مهجتى ومحراب ذاتى

فيك أنسيت يا كنانة أوجا ... عى وأيقظت خافق من سبات

أدركينى على البعـاد فانى ... قد سئمت الشرور فى الفلوات

فيك يا مصر ثلة من رفاق ... بهمو يستضاء فى الظلمات

شـــعراء يهزهم كل معنى ... من معانى التسبيح والعلسفات

فاذكرونى أحبتى إن عودى ... أيبســـته جسارة السافيات

أمسيات الخريف ضاعفن يأسى ... فذكرت الندىّ من أمسياتى

أبو القاسم عثمان